



31 أغسطس 2019

كتب الشهيد سيد قطب رحمه الله هذه المقالة تحت عنوان "هذا هو الطريق.."، وهذا نصها:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزَرِّقُونَ (169) فَرَجِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)) (آل عمران) قرآن كريم.

كلما رأيت المتوجسين عن الجهر بكلمة الله، وهم يزعمون الإيمان بالله.. كلما سمعتهم يجمعون بهذه الكلمة ولا يصدعون خيفة أن يمسهم القرع، وأن تُسلط عليهم قوى الشر والطمغيان.. كلما وجدتهم يُلبسون هذا الضعف ثوب الكياسة واللباقة والمرونة والدهاء..

كلما أبصرت هذا كله تمثلت لي تلك الآيات القدسية الكريمة ترسم الطريق.. الطريق الذي لا طريق غيره إلى النصر والعزة والمنعة والتوفيق.. وفتفت من أعماق ضميري: ألا إن هذا الدين لواحد، ألا وإنه لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله.. ألا وإن هذا هو الطريق..!

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) (آل عمران).

إنهم لم يقولوا: نحن قلة ضعيفة في كثرة باغية، فلنصبر على الذل، ولنرض بالهوان، ولنجامل الشر، ولنثق الطمغيان.. حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.. فالمؤمن يوقن:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّى يَخْتَارَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: من الآية 11)، وإن أمر الله إنما يتم بعباده الذين ينفذون أمره، وإن السماء لا تمطر على الناس عرًا ولا نصرًا إنما هم يصلون قلوبهم بجبار السماء فتهدون عليهم قوى الأرض، وتهون معها حياة الأرض. وعندئذ ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء. وعندئذ يمكن الله لهم في الأرض، لأنهم صدعوا بكلمة الله، ولم يخشوا غير الله.

ذكرت هذا كله وأنا أحضر اجتماعًا يقول دعائه: إنهم اجتمعوا لتجديد شباب الإسلام والعمل لنصرة الإسلام، وإعزاز العالم الإسلامي.. فلما أن جاء ذكر الحكم بالإسلام والعمل بشريعة الإسلام، انتفض منهم الكثيرون مذعورين، أن ينير عليهم هذا القول ثائرة الاستعمار وغير الاستعمار، وأن يسبب لهم مناعب وعوائق ليس إلى اجتيازها من سبيل. وقال أوسطهم إنما نحن مؤمنون بأن الإسلام عقيدة وشريعة ودستور ونظام، ولكننا نؤجل هذا إلى حينه، ونأخذ فيما هو أسلم وأحكم!

قلت في نفسي: كيف ينتصر المنهزمون في ضميرهم منذ اللحظة الأولى؟ وكيف يكافح قوى الشر والطمغيان من يفرق أن يجهر بالحق في كلمات على الورق، أو كلمات على اللسان؟

وعلم الله ما عجبت لشيء عجبى لدبلوماسية الأرقام التي يزاولها منا الرجال. لا في ميدان الدعوة الإسلامية وحدها، بل في ميدان الصراع القومي مع الاستعمار، والصراع الاجتماعي ضد الطمغيان، والصراع الإنساني ضد الشر كله وهو ألوان..

إنهم يسترون الضعف دائمًا بستار (العقل) ويسترون الهزيمة دائمًا بستار (المناورة)

ويسترون حب السلامة دائماً بستانر (المصلحة العامة)

وإذا جاز لرجال السياسة العصرية الكاذبة الخادعة أن يعتذروا بتلك المعاذير، فإنها لكبيرة أن يستعيرها منهم الدعاة إلى الإسلام، الإسلام الذي يقول ربه لرسوله:

(قَاصِدْعُ يَمَا تُؤْمَرُ) (الحجر: من الآية 94) وَيَتَّسَهُ مِنْ رَضِي مَخَالِفِيهِ عَنْهُ مَهْمًا جَامِلٌ وَحَاسِنٌ، لَأَنَّهُمْ لَنْ يَرْضُوا عَنْهُ إِلَّا إِذَا تَرَكَ دِينَهُ وَعَقِيدَتَهُ جَمَلَةً:

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ!) (البقرة: من الآية 120).

إن الذين نداورهم أمهر منا في المداورة، والذين نحسبهم أنفسنا نخدعهم، أكثر منا يقطة وأشد خداعًا. فلم يبق إلا ذلك الطريق الواضح الصريح النظيف: أن نقول كلمة الحق التي نريد، وأن ندعها تفرع الأسماع والقلوب، وأن نؤمن بالله الذي يقول: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَوِيذٌ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)) (الحج).

وبعد فإن الإسلام الذي ندعو إليه عقيدة تنبثق منها شريعة، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعي، ونظام دولي، ونظام إنساني. ولا سبيل فيه لفصل العقيدة عن الشريعة، ولا فصل الشريعة عن النظام الذي ننشئه وتحكمه. فهذه العقيدة لا تتم، بل لا توجد، إذا لم تنشأ معها آثارها الطبيعية التي لا فكاك منها. فليتحسس عقيدته وليفتقدوها من يرى شريعة غير شريعة الإسلام تحكم، ثم لا يبذل جهده في رد الأمر إلى شريعة الإسلام؛ ومن يرى نظامًا غير النظام الإسلامي يسود، ثم لا يعمل عملاً أو يقول قولاً، يصحح به الأوضاع، ويحقق به الصواب.

إن الإسلام لا يعيش في الظلام، فهو نور يعيش في النور. وإن الإسلام لا يخادع ولا يداور، فهو كلمة الحق التي تكره المداورة والخداع. وإن الإسلام حقيقة واقعة تعيش في الأرض، لا سرًا ولا مؤامرة تتوارى عن الأنظار.

نحن نريد عالمًا إسلاميًا.. فلندع إلى هذا العالم على أسسه الواضحة الصريحة: شريعة إسلامية، ومجتمع إسلامي.. ولقد مضى - ولله الحمد - ذلك العهد الذي كانت البيغاوات تثرثر فيه بأن الدين رجعية، وبأن الإسلام تعصب.. فقد اعترفت مؤتمرات (الخواجات) الذين تقلدهم البيغاوات بأن الشريعة الإسلامية مرجع هام للتشريع الدولي. ولقد أعجبني الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف ضرار مدير الأزهر، وهو يقول هذه الحقيقة متهكمًا على أحد بيغاواتنا (المنثقفين!) (من قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. فاصطكت أسنانهم، وارتهجت مفاصلهم، فليظنوا: أين هم من ذلك الطريق الذي رسمه الله، في كتاب الله: (إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) فليظنوا أين يتجه بهم الطريق!).

إن أضواء النصر تلوح في أفق الفكرة الإسلامية فتجذب إليها الكثيرين. منهم من بيتغي وجه الله، ومنهم من يحسبها تجارة كاسية. ولكن الطريق طويل، والعقبات كثيرة، والقرح والابتلاء والاستشهاد ينتظر المجاهدين. وسيحق على بعضهم قول الله لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ (التوبة: من الآية 42) وسيحق على الآخرين قوله الكريم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَى نَجَبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) (الأحزاب)..

وأولئك هم الغائزون.

-----

نشرت في مجلة "الرسالة" العدد: 983 الصادر يوم الإثنين 10 من شعبان 1371 هـ الموافق 5 من مايو 1952م ص 1:3

www.ikhwanonline.com/236533